

تفسير البغوي

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ^ص حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ
مَنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُّونَ ^ج مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ^ج ثُمَّ
صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ ^ص لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ^ق وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

قوله تعالى : (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي : لما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة من أحد وقد أصابهم ما أصابهم ، قال ناس
من أصحابه : من أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى : (ولقد صدقكم
الله وعده) بالنصر والظفر وذلك أن النصر والظفر كان للمسلمين في الابتداء ، (إذ
تحسونهم بإذنه) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره
واستقبل المدينة وجعل عينين ، وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبد
الله بن جبير وقال لهم : احموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وإن رأيتمونا
نقتل فلا تنصرونا ، وأقبل المشركون فأخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل
المشركين بالنبل والمسلمون يضربونهم بالسيوف ، حتى ولوا هارين فذلك قوله تعالى (إذ

تحسونهم بإذنه) أي تقتلونهم قتلا ذريعا بقضاء الله . قال أبو عبيدة : الحس : هو الاستئصال بالقتل . (حتى إذا فشلتم) أي : إن جبنتم وقيل : معناه فلما فشلتم ، (وتنازعتم في الأمر وعصيتم) والواو زائدة في (وتنازعتم) يعني : حتى إذا فشلتم تنازعتم ، وقيل : فيه تقديم وتأخير تقديره : حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتم فشلتم ومعنى التنازع الاختلاف . وكان اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون فقال بعضهم : انهزم القوم فما مقامنا؟ وأقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم : لا تجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة . فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه ، وأقبلوا على المسلمين وحالت الرياح فصارت دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا ما يشعرون من الدهش ، ونادى إبليس أن محمدا قد قتل وكان ذلك سبب الهزيمة للمسلمين . قوله تعالى : (وعصيتم) يعني : الرسول صلى الله عليه وسلم وخالفتم أمره ، (من بعد ما أراكم) الله (ما تحبون) يا معشر المسلمين من الظفر والغنيمة ، (منكم من يريد

الدنيا) يعني : الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب ، (ومنكم من يريد الآخرة) يعني :
الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود : ما شعرت أن أحدا
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية ()
ثم صرفكم عنهم) أي : ردكم عنهم بالهزيمة ، (ليبتيكم) ليمتحنكم وقيل : لينزل
البلاء عليكم (ولقد عفا عنكم) يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة ، (والله ذو فضل
على المؤمنين) .